فرانسوا باسيلي*

التفسير النفسي للسحر الكروي:

كأس العالم: دروس للحكومات والشعوب

■ ما الذي يجعل لعبة كرة القدم تحظى بذلك الهيام الجنوني من كافة شعوب الارض قاطبة ـ باستثناء الشعب الامريكي ـ وبدرجة تجعل هذه الشعوب تنحي كل شيء جانبا لمتابعة مباريات كأس العالم ـ بالاضافة الى مباريات انديتها المحلية؟

لكل ظاهرة طبيعية او انسانية ـ اجتماعية أسبابها. فما أسباب القوة السحرية للظاهرة الكروية؟ وكيف إستطاعت البشرية التي لم تجمع على شيء آخر في تاريخها ـ فهي لم تجمع على دين ولا مذهب سياسي ولا نظام إقتصادي ولا لغة ولا ثقافة ولا مبدأ ولا أي شيء آخر واحد وحيد، أن تجمع على العشق الجنوني لهذه اللعبه الفريدة؟

ولماذا يشذ المجتمع الامريكي وحده عن هذا العشق؟

إن لعبة كرة القدم مسألة بالغة الجدية ـ وهي ليست «لعب عيال» بالتعبير المصري، ولذلك تستحق منا أن نقوم بدراستها دراسة مقارنة محللة لا تقل عن دراستنا المقارنة للأديان أو المذاهب السياسية والاقتصادية ـ أو للظواهر الطبيعية والأعراض النفسية. إن أي أمر يشغل الجماعة الانسانية بهذا القدر ويأخذ منها كل هذا الوقت والاهتمام والاستثمار والمناقشة والحزن والفرح بل والهوس الجماعي يستحق أن نفهمه ونستوعب اسبابه وخصائصه لكي نفهم ـ عن طريقه ـ أنفسنا وطبيعتنا البشرية بشكل أعمق وأكمل.

العدل في الأرض

يكمن السر الفلسفي الأساسي في هيام البشر بلعبة كرة القدم أنها تحقق للبشرية حلمها الإنساني القديم في تحقيق العدل المطلق على الارض. فالإنسان بكل عبقرية إنجازاته الحضارية حتى اليوم لم يستطع أن يحقق العدالة الكاملة المطلقة في أي مجتمع بشري. فرغم الاديان والمبادىء والقيم والقوانين المختلفة التي تطمح إلى تحقيق أقصى درجة من العدالة في الارض تظل

قوى مناوئة كثيرة تمنع ذلك..إذ يظل الغني والقوي في معظم الأحيان فوق العدل وخارج القانون. وتظل السرقة والبلطجة والعنف والجريمة والخديعة والمحسوبية والرشوة والجبن والخسة تعمل جميعها على النيل من سلطة العدالة وتمنع تحقيق حلمها النبيل على الارض.

أما في لعبة كرة القدم فيجلس عشرات الالوف من البشر في مدرجات ملعب مكشوف ـ ويتابع الملايين من الاخرين على شاشات التلفزيون، لعبة محكومة بمنظومة علنية من المبادئ والقواعد والقوانين متفق عليها من الجميع، يخضع لها جميع اللاعبين بنفس الدرجة وبنفس القياس، وتطبق فيها القوانين بشكل مكشوف وبصرامة لا ترحم، وينزل فيها الثواب والعقاب في نفس لحظة الفعل وليس بعده بسنوات وسنوات، ويكون فيها الفوز للأصلح فقط، للكفاءة والتفوق والمهارة والاجتهاد فقط ـ فهنا لا تنفع محسوبية ولا تجدي واسطة، ولا تنفع القربى لأمير أو لوزير. فاللاعب الماهر يفوز ولو كان ابن غفير فقير. واللاعب السيء يخسر ولو كان ابن ملك. فهنا تنتفي كل العوامل التي تفرق تفريقا ظالما بين البشر، وتسقط القوة والسلطان والنفوذ وتصبح بلا قيمة ولا جدوى. ونجد أمامنا حالة إنسانية فريدة باهرة تنتصر فيها الكفاءة وحدها، ويتحقق العدل على الأرض بشكل مطلق نقي مجرد من الشوائب والمثالب.

الإنسانية المثالية

بجانب تحقيق لعبة كرة القدم للعدل في الأرض. توحد اللعبة بين الإنسانية جمعاء في اطار واحد من المثالية التي تلغي كافة العوامل التي تفرق بين البشر.. من ايديولوجيات ومعتقدات ومذاهب وأديان. ففي ساحة الملعب يقف ـ أو يجري ـ الجميع على قدم المساواة المطلقة، فالملعب لا يعرف مسيحيا ولا يهوديا ولا مسلما ولا بوذيا ولا ملحدا. الجميع سواسية امام العدالة الكروية المطلقة.

وكرة القدم لعبة لا تتدخل فيها الآلهة، وقد يصلي اللاعب قبل المباراة عشرات المرات، ويسجد مئات الركعات ويقدم الغالي والثمين من المحرقات والقرابين فتذهب كلها دون جدوى امام الالهة التي هي أحكم وأعظم من أن تتدخل لصالح هذا اللاعب أو خصمه لمجرد انه يحاول رشوتها بركعتين هنا او قرابين هناك.

وليرسم اللاعب على وجهه علامة الصليب كما يحلو له فلن يجديه هذا شيئا.

فنحن امام نظام كروي صارم العدالة بالغ الكمال ورفيع المثال، لا تجدي معه محاولات الانسان البائسة في رشوة قوى الغيب بالصلوات او الادعية لتتدخل لصالحه فتعفيه من تبعات العمل الشاق والاجتهاد الدائب المتصل الذي هو وحده طريقه للنجاح والفوز.

وهكذا يأتي البشر أفرادا وفرقا وجماعات من دول اسلامية او عبرية ـ فارسية او عربية او لاتينية، ديمقراطية او ديكتاتورية، علمانية او دينية، رأسمالية او اشتراكية او اقطاعية، فاذا بكل مذاهبهم وايديولوجياتهم وعقائدهم تتساقط عنهم ليقفوا في النهاية عرايا الا من فانلاتهم الملونة على أرض ملعب لا تجدي فيه مذاهبهم شيئاً. فهنا يقف الانسان انسانا مجردا، انسانا مطلقا كاملا، فريدا، وحيدا. فتتحقق له انسانيته المطلقه المثلة فيما يقدمه هو كإنسان وكموهبة، وليس كوعاء ديني او مذهبي او سياسي. حتى حين يموت الانسان، يموت مسربلا بأرديته الدينية والاجتماعية والطبقية التي لا تتخلى عنه ولا تعتقه منها حتى في موته. فقط حين يلعب كرة القدم يتجرد من قبيلته ودرجات طبقته و مراسم ثقافته ويقف إنسانا حرا كاملا متساويا مع كل إنسان آخر مع كل لاعب وكل متفرج آخر في طقس كروي مثير تتجلى فيه كما لا تتجلى في اي طقس آخر إنسانيته المثالية الحرة الفريدة.

العولمة المحبوبة

إختلف البشر حول مفهوم العولمة الاقتصادية والسياسية فدافع عنها البعض وهاجمها الاخر. وتخوف منها آخرون. واتهموا مروجيها بالدوافع الاستعمارية العدوانية وخشوا معها فقدان هويتهم وذواتهم. إلا في لعبة كرة القدم. فقد حققت الكرة فلسفة العولمة في كامل ابعادها ولم يعترض عليها أحد ولم يشكك فيها أحد. وتدافعت دول العالم حكومات وشعوبا ترغب الدخول في العولمة الكروية بكاملها دون تعديل يلائم طبيعتها المحلية. أقبل الجميع ـ مثقفون وأميون ـ أغنياء وفقراء، اذكياء وبسطاء.. على هذه العولمة الكروية المدهشة فدخلوا فيها أفواجا دون تردد او تخوف او تشكك. فأثبتوا بذلك وحدة الموهبة البشرية وإمكانية النظام الانساني الواحد. فلم يقل أحد ان نظام الجزاء الكروي قد يناسب المانيا ولا يناسب أنغوليا.

وها هو النظام الكروي العالمي الجديد يقدم لنا مفهوما متحررا للمواطنة والانتماء. فإذا بنا نشاهد الفريق السويدي يلعب بحارس مرمي من اصل مصري اسمه رامي شعبان. وإذا به يصد كرة خطيرة كانت تهدد مرماه السويدي فيهتف له الجمهورالسويدي الحاشد ملوحاً بالأعلام السويدية صارخين: رامي.. رامي! رامي.. رامي!!

وهكذا نجد الفرق العربية والأوروبية واللاتينية تستعين بلاعبين ومدربين من دول أخرى تختلف في الدين والشكل واللغة والثقافة، ولكن تنتمي مثلهم للنظام الكروي العالمي الواحد، للعولمة الكروية التي حطمت الحدود وأذابت الفروق الشوفينية ومحت الإختلافات الجنسية والقطرية وأدخلت الجميع في عولمة إنسانية شاملة.

السلام والجمال

بجانب تحقيق العدالة والمساواة على أرض الملعب الكروي وما يثيره هذا من أشواق الجمهور في رؤية نفس هذا العدل المطلوب والمساواة الكاملة تتحقق في حياتهم على الارض، تحقق لنا كرة القدم أحلام الإنسان الأخرى في السلام والجمال. ففي كأس العالم 2006 بألمانيا رأينا فريق ساحل العاج يحقق على أرض الملعب وحدة وطنية لا تعرفها بلاده التي تعاني من حرب أهلية رهيبة تسيطر فيها الحكومة على نصف البلاد ويسيطر المتمردون على النصف الآخر. ولكن أمام سطوة كرة القدم ومثاليتها الشاهقة وتبشيرها بروح انسانية أجمل وأنبل، نجد ساحل العاج يتوحد بشطريه المتحاربين في مساندة فريقه الدولي. فيكف عن القتال لفترة تسمح للفريق بالتجمع من أطراف البلاد للتدريب. وتسمح للجميع بالاستمتاع بمشاهدة الحدث الدولي الأرفع. فيتحقق بذلك السلام المفتقد. فتقدم كرة القدم النموذج الأجمل للصراع الحضاري السلمي والمنافسة الشريفة الحرة التي تخلو من أساليب العنف والبطش والحروب.

كما تقدم الكرة لعشاقها جرعة من الجمال البديع الذي يثيره الابداع الفني في لعبة كرة القدم، من خطط الدفاع والهجوم الى القدرات والمهارات الفنية الفردية الى اللعب الجماعي وعمل الفريق الى الجماليات التشكيلية لحركة الفريقين الى فنون المراوغة والترقيص والسبق والتسديد والصد والرد والتحكم في الكرة وفي الجسد وضبط الايقاع وتسخير القدرات البشرية للقوانين الطبيعية للسرعة وللوقت..عملا بمبادئ علم التوقيت والتحرك الذي درسناه في هندسة القاهرة على يد عالمنا الجليل المهندس الدكتور حسن فهمي ـ وهو العلم ـ والفن ـ الذي ورثته عنه ابنته المبدعة فريدة فهمي الراقصة الاولي لفرقة رضا للفنون الشعبية في ستينات مصر الذهبية ـ وهكذا نجد الجمال في كل شيء على الأرض، في العلم وفي الفن وفي كرة القدم، فإذا كانت العلوم والفنون هي مجالات إشباع الرغبة في الجمال لدي الخاصة والمتعلمين، فإن كرة القدم هي مجال إشباع التوق إلى الجمال لدى عامة البشر أجمعين.

لقد استطاعت كرة القدم أن تحقق السلام والجمال على الأرض، ففي منظومة الأخلاق الكروية لا توجد دار حرب ودار سلام، ولا يوجد مؤمنون وكفار، ولا يوجد أنصار إسلام ولا أعداء الله، ولا يوجد وطنيون وعملاء خونة، ولا يهبط فرد الى أرض الملعب فيستحوذ عليها لسنوات طوال ثم يورثها لإبنه من بعده، ولا يستغل غوغائي الدين في ترهيب البسطاء وترويع الابرياء، ولا يستغل غني ماله ولا قوي نفوذه للحصول على ما ليس من حقه.

ان جنة النصر في عالم كرة القدم لا يدخلها الذين يحاولون رشوة السماء بالدعاء ولا الهاربون من أعباء التدريب الشاق منفقين أوقاتهم في التقرب الى آلهة الكرة من أعضاء الفيفا بتقديم إبتهالات المديح أو رشوتهم بالمال كما حاول بعض المسؤولين في مصر فعاقبتهم آلهة الكرة العادلة بمنحهم صفراً كاملاً وطردتهم من جنة الحالمين بتنظيم الدورات العالمية التي لا يدخلها سوى المجتهدين بالعرق والموهبة.

الشذوذ الأمريكي

كيف إذن نجد المجتمع الأمريكي وحده يشذ عن بقية المجتمعات العالمية في موقفه البارد من كرة القدم؟ ورغم تقديمه هذه اللعبة لأطفال المدارس حتى الإعدادية، فسرعان ما تختفي اللعبة في المدارس الثانوية والجامعات والحياة العامة والإعلام. رغم محاولات البعض المستميتة طوال العقود الماضية لبعث هذه اللعبة في الحياة الأمريكية. وليس الامر أن الأمريكيين لا يعشقون الرياضة، فهم يعشقون العاب البيسبول والفتبول (الأمريكية) والباسكتبول والهوكي. ونجد أن المجتمع الأمريكي يصر على تسمية لعبة كرة القدم المعروفة في العالم كله بهذا الاسم اسما غريبا مختلفا هو (ساكر) Soccer فيما يسطو على إسم كرة القدم ليسمي بها لعبة أخرى هي في أساسها لعبة (الرجبي) البريطانية التي لا تلعب فيها القدم دورا بارزا على الاطلاق فيسمي هذه كرة القدم. فلماذا هذا الاختلاف المتعمد الغريب؟

ربما تقع الاجابة في ان المجتمع الامريكي ـ منذ بداية تكوينه ـ هو مجتمع تعمد الاختلاف الجذري عن المجتمعات الأوروبية القديمة التي جاء منها. وليس صدفة أن وصفت أمريكا بأنها (العالم الجديد) فقد أراد المهاجرون الهاربون من العالم القديم بكل عاهاته وتقاليده التي اضطهدتهم وقهرت حرياتهم الدينية والفردية والفكرية أن يبنوا لهم عالما جديدا في كل شيء. بما في ذلك العابهم الرياضية المفضلة.

وليس صدفة أنه ظهرت في هذا العالم الجديد ظواهر اجتماعية وانسانية فريدة لم يعرفها العالم القديم.

فقد قام المستوطنون الجدد بإبادة المستوطنين الأصليين ـ الهنود الحمر ـ بشكل لم يمارسه غزاة لأرض قبلهم. كما كون المهاجرون الجدد شخصية إنسانية فريدة لم تعرفها البشرية من قبل هي شخصية الكاوبوي أو راعي البقر ـ بما تنفرد به من فردية مفرطة ونزعة للكشف والنزوح وتوسيع الأرض المملوكة وترويض الحيوانات الوحشية والاعتماد على العنف والسلاح كلغة تسبق الكلمات والنفور من العاطفية والضعف واعلاء القيم الذكورية. ثم قام المهاجرون الاوائل بعد ذلك بالاعتماد بشكل مفرط على نظام العبودية فقاموا بخطف او شراء البشر من إفريقيا واستعبادهم ومعاملتهم معاملة الحيوانات في العالم الجديد.

كرست هذه الممارسات المبكرة في المجتمع الأمريكي نزعات النرجسية واعتماد العنف والفردية المفرطة وتسخير الآخر من أجل الذات والملكية التوسعية ورفض القديم وتحقير عاداته وتقاليده. ولا يعني هذا كله أنه لم تظهر في المجتمع الامريكي قوى مناقضة لهذه تناصر العدل والمساواة والاخاء.. ولكن هذه جاءت كلها متأخرة في التكوين التاريخي للنفسية الجمعية الامريكية. وراحت تتصارع معها صراعا مريرا بلغ ذروته في الحرب الأمريكية الأهلية ثم استمر حتى مرحلة تحرير السود وتحرير المرأة في الستينات والسبعينات من القرن العشرين. وبعدها راح المجتمع الامريكي يسابق ثم يسبق نظيره الاوروبي في ارساء قواعد المجتمع العادل المتحرر المحترم للانسان وحقوقه. في اطار هذا المفهوم للتفرد الاجتماعي نجد من الطبيعي ان تدفع رغبة التفرد بالانسان الامريكي الى تأسيس رياضة جديدة خاصة به هي كرة قدمه هو وليس كرة قدم اجداده الاوروبيين. كما نجد من الطبيعي ان تكون هذه اللعبة الجديدة معتمدة على تمجيد واضح للقوة والضخامة الجسدية المفرطة بما يصحبها من عنف جسدي في الجوهر والمظهر.

ولعل من الملفت ان فريق النساء الامريكي قد سبق الرجال في العودة الى كرة القدم العالمية حيث حاز على بطولة العالم. كما نجد من الطبيعي ان يكون للمرأة الأمريكية السبق في هذا لأن خصائصها الأنثوية الأكثر نزوعاً للسلام والإخاء والانسانية والأكثر رفضاً للعنف والعدوانية تجعلها المرشحة للسبق في رفض كرة القدم الامريكية المعتمدة على القوة الجسدية المفرطة وتفضيل كرة القدم العالمية المعتمدة على الجماليات الرومانسية والسلام والعدالة والعولمة الانسانية في منظومة تقبل الآخر وتخضع للنظام العالمي ولا ترفضه وتشذ عنه كما فعلت السياسة الامريكية في خروجها على اجماع العالم في احتلالها المأساوي للعراق.

وكم في كرة القدم من دروس للحكومات والشعوب والأفراد.

* كاتب من مصر يقيم بنيويورك
fbasili@gmail.com

د. محمد بسام يوسف*

قراءة في الانتقادات ضد جبهة الخلاص السورية

■ لا شك أنّ تأسيسَ جبهة الخلاص الوطني قد لقيَ اهتماماً واسعاً، داخلياً وعربياً ودولياً، ولم تتعرّض أية جهة من جهات المعارضة السورية للتقويم والتفنيد والتعليق والتحليل، كما يحدث هذه الأيام بحق جبهة الخلاص.. وذلك لاعتبارات حقيقية، هي أنّ الجبهة جمعت بداية بين طرفَيْنِ مُهمَّين اعتُبرا طوال أربعة عقود على طرفي نقيض، وهما: الإخوان المسلمون، والسيد عبد الحليم خدام، نائب رئيس الجمهورية السابق، وأحد أركان النظام السوري الذي ما يزال يَعتبر حربهَ الطويلة التي شنّها على الإخوان المسلمين، مستمرةً بكل عناصرها ووحشيّتها ورعونتها، من غير النظر إلى مصلحة الشعب أو الوطن السوريّ، لا تحرّكه في ذلك إلا دوافع الحقد الأعمى، الذي طمس على بصر هذا النظام المستبدّ وبصيرته.. وهنا نسجّل للمتحالفين الجدد، خاصةً للإخوان المسلمين، نقطةً ناصعة، لأنهم استطاعوا التغلّب على أنفسهم لمصلحة شعبهم ووطنهم، على ما في هذا من كظم للنفس، نأياً بها عن كل دوافع الحقد والثأر والغلّ!..

لقد انقسم الناس في آرائهم وسياساتهم تجاه جبهة الخلاص الوطني إلى أصناف، وإذا استثنينا الصنف المؤيّد للجبهة علناً أو سراً أو ضمناً.. فيمكن أن نذكرَ من أصحاب الآراء والسياسات:

ـ المعارضين المنتقدين،

ـ والمتواطئين مع النظام الحاكم.. وهؤلاء لسنا بحاجة للتعليق على مواقفهم، لأنهم منسلخون عن قضايا شعبنا الوطنية أصلاً، ومشتركون في كل الجرائم التي تُرتكَب بحقه منذ ثلاثة وأربعين عاماً.

من المعارضين المنتقدين:

ـ أصحاب الرأي الحقيقي الذين لم تكتمل لديهم صورة التحالف الجديد، وهؤلاء ما يزالون يقعون تحت سطوة سوء الفهم، وجهل حقائق الأشياء في التحالفات السياسية.

ـ ثم أصحاب الهوى والعُقَد الشخصانية، والتركيبة النفسية التي تدفع صاحبها إلى خانة العمى التام، حين لا يتمكّن من تحقيق طموحاته الشخصية بالبروز أو الظهور مادةً أساسيةً لكاميرات وكالات الأنباء والأضواء الكاشفة، بُغية صناعة مجد شخصيّ، تحكمه محدودية العقل والتفكير وسقفُ التشوّهات النفسية العميقة.. وذلك مهما زعم هؤلاء من مزاعم، ومهما غلّفوا ذرائعهم بأغطية الحرص على الديمقراطية والحميّة المصطنعة لحمايتها!..

ـ هناك جمع ثالث من المنتقدين، ما يزال يتخذ مواقفه الهجومية أو السلبية من جبهة الخلاص الوطني، بناءً على مصلحته الحزبية والشخصية، من غير النظر إلى مصلحة الشعب أو الوطن السوري، ويدخل في هؤلاء، كل فئة تستفيد من استمرار النظام السوريّ القمعيّ، الذي يضطهد شعبَه ويحكمه بالحديد والنار.. فهؤلاء وأمثالهم يستثمرون علاقاتهم مع النظام ضد سورية الوطن والشعب، بدعاوى زائفة باطلة، لا تغيب عن أهل الحصافة والسياسة والعقيدة، مقابل ثمن بخس يقبضونه من أرصدة شعبنا وثرواته التي ينهبها النظام، ليشتريهم بها ويشتري مواقفهم، ويمولّ تحرّكاتهم للتسويق له، ولتزييف حقيقته البشعة، بناءً على هوىً ومصلحة ذاتية صرفة.. وهذا الصنف من الناس سيكسب النظام آنياً، ويكسب دولاراته وفنادقه ذات النجوم الخمس.. لكنه على المدى المنظور سيخسر شعبنا السوريّ كله، يوم تدقّ ساعة الحقيقة وتنخلع الغشاوة عن الأبصار والبصائر.. فلينظر أشخاص هذا الصنف ملياً في مواقفهم ورؤاهم، وفي تحرّكاتهم لصالح نظام مستبد متسلّط.. علماً بأننا نعذر بعضهم في استثمار علاقاتهم سياسياً، لكننا أبداً لا نقبل بأن يحوّلهم النظام الجائر إلى موظّفين حكوميين، وناطقين رسميين باسمه، ومحاربين بسيفه ضدنا، ورافعين لشعاراته الباطلة، ومشوّهين لنا ولمواقفنا وثوابتنا وحقيقة تحالفاتنا السياسية.. وليس أوضح من تهافت دعاوى هؤلاء وبطلانها، من أنهم يُبيحون لأنفسهم ـ ونحن نعذر بعضهم في ذلك سياسياً ـ التحالفَ السياسيَّ مع نظام سفّاح، ثم يستنكرون علينا التحالفَ مع حليفهم السابق، الذي انشق عن النظام، ونأى بنفسه عنه، وعن فجوره وانتهاكاته بحق وطننا وشعبنا.. نعذر بعض هؤلاء بأي موقف يرونه مناسباً لخدمة قضيتهم، لكننا نستنكر عليهم أن يصطفّوا إلى جانب النظام، ضدنا وضد قضايانا وقضايا شعبنا، وضد كفاحنا وجهادنا لتحقيق حريّتنا وحرية وطننا وشعبنا، وقد غاب عن هؤلاء لسببٍ أو لآخر، أنّ سورية الحرة الكريمة المحكومة بالعدل والقسط، خيرٌ لهم ولقضيّتهم من سورية المضطهَدة المُستعبَدَة، التي (طوّبوها) لأسرة الأسد، فأصبحوا يُطلقون عليها اسم: سورية الأسد!..

إنّ ذريعة الممانعة والصمود والتصدّي، التي نجح النظام في تسويقها على المغفّلين أو المتغافلين من أصحاب المصالح الذاتية.. قد سقطت منذ زمن بعيد، وذلك عند أسوار الجولان المحتلّ منذ أربعين عاماً بلا أية مقاومة، وعند أعتاب تل الزعتر وطرابلس والبدّاوي وعين الحلوة والكرنتينا، وعند حدود دويلة العميل سعد حداد التي صُنِعَت على أعين قوات النظام، وعند اتفاقيات الخطوط الحمر والخضر واتفاق الأسد ـ مورفي في لبنان الشقيق.. كما سقطت في زنازين سجن فلسطين بدمشق.. وفي حفر الباطن.. وطوال ثماني سنوات من الحرب ضد العراق العربيّ المسلم.. وسقطت في لحظة المصافحة (العار) المتلفَزَة أثناء جنازة البابا في الفاتيكان.. وسقطت في مجازر تدمر وحماة وجسر الشغور وحلب وحمص واللاذقية.. وسقطت في السجون الصحراوية والمخابراتية، التي ما يزال ثلاثون ألفاً من السوريين والأردنيين والفلسطينيين والعراقيين واللبنانيين.. مفقودين وراء قضبانها، لا يُعرَف هل هم في عداد الأحياء أم الأموات.. وهي تسقط يومياً أثناء إطلاق تصريحات النظام، باستعداده لمزيد من الارتماء في أحضان (السي آي إيه)، لتقديم خدماته فيما يسمى بمكافحة الإرهاب، الإرهاب الذي هو تهمة أمريكية صهيونية جاهزة بحق المقاومة الفلسطينية والعراقية والأفغانية.. كما سقطت منذ أول لحظة كشف فيها زعماء الكيان الصهيونيّ حقيقةَ أنّ نظامَ بشار الأسد هو خيار اسرائيلي، ينبغي المحافظة عليه ومدّه بأسباب البقاء والاستمرار.. فهل بعد كل هذا السقوط المريع، يمكن لكائن مَن كان، أن (يبيض) علينا وعلى شعبنا، وطنيةً وحرصاً وتبريراً وتسويغاً، وشرفاً رفيعاً، وتسويقاً لنظامٍ ظالم لشعبه ووطنه وأمّته؟!..

لا يفوتنا هنا، أن نتوجّه بخالص الشكر والتقدير والعرفان، لمن آثروا الشدّ على أيادي المكافحين من أبناء شعبنا ضد الدكتاتورية الظالمة، وانحازوا إلى قضايانا الحق ضد باطل النظام، وكانوا منسجمين مع العقيدة التي يحملون، ومع الأهداف السامية التي يرومون.. فلم تسرقهم أكاذيب النظام، ولم تستهبلهم كل دعاواه الزائفة الساذجة في الممانعة والصمود والتصدّي.. فكان من هؤلاء الأوفياء: الحركة الإسلامية في باكستان بزعامة الشيخ (قاضي حسين أحمد) حفظه الله، والحركة الإسلامية في اليمن الشقيق، وغيرهم من شرفاء العرب والمسلمين.. كما لا يفوتنا، أن نتوجه إلى الشعب اللبنانيّ الشقيق بكل مشاعر الفخر والشكر، لفضله في تلقين النظام السوريّ الفاسد دروساً في العزة والكرامة والحرية، حين استطاع أشقاؤنا اللبنانيون بكفاحهم المرير، أن يتحرّروا من تسلّط اسرائيلي، وأن يردّوهم إلى جحورهم، يَمضغون المرارات، ويكتوون بعقابيل ظلمهم وجرائمهم ونهبهم وفسادهم!.. فلكل هؤلاء خالص التحايا الأخوية وأصدقها، وشعبنا لن ينسى لهم مواقفهم المشرّفة، يوم يُذكَر الناس في صفحات أصدق الأنصار وأشدّهم ثباتاً على الحق.

ـ أما الجمع الرابع من المنتقدين، الذين يفضّلون شرّ الاحتلال على شرّ الاستبداد، مَن يظنّون أو يتوهّمون، بأنّ ركوب ظهور الدبابات الاستعمارية أقصر طريق لتحقيق المجد الشخصيّ.. أو من أولئك الثرثارين الذين لم يبيعوا شعبهم طوال أربعين عاماً، سوى الكلام الفارغ، والشعارات الطنّانة، والخيالات المريضة، والمزاودات الرخيصة.. فهؤلاء جميعاً ما تزال لديهم فسحة من الوقت، لابتلاع ألسنتهم أو قطعها، لا فرق، فالشرف الرخيص لم يكن يوماً في نظر شعبنا، إلا رخيصاً مُهمَلاً، بل مَوْطِئاً حتمياً لكل الأقدام، سواء أكانت أقدام الشرفاء، أم أقدام الأرباب المزيَّفين الذين يعمل أولئك بخدمتهم ولحسابهم!..

* كاتب من سورية يقيم في المانيا

زهير اندراوس*

سديروت ليست كريات شمونه!

■ لسنا من هواة القتل ولا نحترف عمليات سفك الدماء. وهذا الأمر نابع من قناعاتنا الداخلية بان العنف على جميع أشكاله لن يؤدي في نهاية المطاف إلى إيجاد الحلول للمشاكل السياسية والاجتماعية والعرقية العالقة بين البشر على هذه البسيطة. واكبر دليل على ما نقوله هو الصراع العربي ـ الإسرائيلي الذي راح ضحيته حتى الان الآلاف من أبناء الشعبين، وحسب الدلائل والمؤشرات فان التصعيد في أعمال العنف سيستمر بسبب عدم وجود أفق سياسي لإنهاء النزاع التاريخي بين الشعبين، أي أن عدد الضحايا من الطرفين سيزداد للأسف الشديد.

نسوق هذا الكلام ونحن نتابع ما يجري في قطاع غزة. جيش الاحتلال الإسرائيلي يواصل عملياته ضد من يسميهم بالمطلوبين الفلسطينيين، الذين يتهمهم بالمسؤولية عن إطلاق صواريخ القسام من القطاع باتجاه البلدات اليهودية الواقعة في الجنوب، وتحديدا بلدة سديروت، التي يسكنها وزير الأمن عمير بيرتس.

وحسب المعطيات الإسرائيلية الرسمية فان 31 مدنيا فلسطينيا استشهدوا في قطاع غزة نتيجة القصف الصاروخي من آلة الحرب الإسرائيلية الذي استهدف من تسميهم الدولة العبرية بالمطلوبين، أي المسؤولين عن إطلاق صواريخ القسام، وتؤكد المعطيات نفسها انه منذ انسحاب إسرائيل من قطاع غزة في شهر آب (أغسطس) من العام الماضي قامت التنظيمات الفلسطينية بإطلاق أكثر من ألف صاروخ من طراز القسام باتجاه إسرائيل. هذه الصواريخ البدائية أدخلت دولة كاملة إلى حالة من الهستيريا، وحتى رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت، قال في تصريح صحافي ان الأجهزة الأمنية في دولته لا تملك الحلول السحرية لمنع الفلسطينيين من مواصلة عمليات القصف الصاروخي. أي انه اعترف ضمنا بان الجيش عاجز عن حماية سكان سديروت والبلدات المجاورة من هذه الصواريخ.

وهذه العمليات الفلسطينية تعيد إلى الأذهان القصف الصاروخي الذي تعرضت له بلدة كريات شمونه، الواقعة في شمال إسرائيل، من قبل منظمة حزب الله اللبنانية، عندما كانت الدولة العبرية تحتل الجنوب اللبناني، ولكن اللافت أن حزب الله أوقف القصف بعد اندحار الاحتلال وانسحابه من الأراضي اللبنانية، بكلمات أخرى، بعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني المحتل في أيار (مايو) من العام 2000 تغيرت قواعد اللعبة بين الطرفين، لان المقاومة اللبنانية أحرزت الانتصار الذي قاومت من اجله.

الأمر في قطاع غزة يختلف كثيرا. الفصائل الفلسطينية على مختلف مشاربها التي تشارك في عمليات القصف الصاروخي تفعل ذلك دون التنسيق مع القيادة السياسية للشعب الفلسطيني، أي دون الأخذ بعين الاعتبار، مثلا، مناشدة رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس جميع الفصائل بوقف العمليات. كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري في حركة حماس، انضم هو الآخر إلى المقاومة وأعلن انه في حل من التهدئة مع إسرائيل. بموازاة ذلك، وزير الامن الاسرائيلي عمير بيرتس، يتوعد الفلسطينيين برد قاس وأكثر إيلاما على هذه العمليات، ولا نعرف ماذا سيكون الرد، هل ستغامر إسرائيل وتقوم بإعادة احتلال غزة؟ هل ستستهدف القادة السياسيين في الحكومة الفلسطينية بقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)؟ نعتقد أن إسرائيل تخطط لعملية عسكرية واسعة النطاق على غرار العملية التي قامت بها في شهر آذار (مارس) من العام 2002 عندما اجتاحت الضفة الغربية في العملية المسماة إسرائيليا عملية السور الواقي.

في هذا السياق لا بد من تسجيل عدد من الملاحظات على الأداء الفلسطيني:

أولا، لا يوجد تنسيق بين القيادة السياسية والعسكرية في قطاع غزة، حتى أن رئيس الوزراء الفلسطيني، إسماعيل هنية، حسب مصادر مقربة منه، كشفت عن انه عقد اجتماعا مع قادة الجناح العسكري في الحركة وطلب منهم وقف عمليات إطلاق الصواريخ، إلا أن طلبه قوبل بالرفض.

ثانيا، لا يوجد تنسيق بين الفصائل المختلفة، وإطلاق الصواريخ يتم بصورة عشوائية، دون الأخذ بعين الاعتبار تبعات وتداعيات هذه العمليات على الشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة، والذي تتهدده المجاعة بسبب الممارسات الإسرائيلية المدعومة أمريكيا وأوروبيا.

ثالثا، يوما بعد يوم يتعزز الانطباع لدينا بان عمليات إطلاق الصواريخ غير مبنية على تكتيك معين، أو على إستراتيجية محددة، الأمر الذي يقطع الشك باليقين بان حالة الفوضى والفلتان الأمني ما زالت سيدة الموقف في قطاع غزة.

بالإضافة إلى ذلك نعتقد بان التنظيمات الفلسطينية لا تقوم بعمليات إطلاق الصواريخ لاستدراج الإسرائيليين لعلمها بأنه لا يوجد تكافؤ بين الجهتين من الناحية العسكرية، إذ أن الجيش الإسرائيلي بإمكانه أن يتغلب على جميع الجيوش العربية مجتمعة، كما أكد معهد يافه الإسرائيلي للدراسات الإستراتيجية في آخر تقرير نشره. كما أننا لا نعتقد بان الفصائل الفلسطينية معنية بان تقوم إسرائيل بإعادة احتلال قطاع غزة، وعليه يجب على الفصائل أن تراجع حساباتها مرة أخرى وتسال نفسها: ما الفائدة من إطلاق صواريخ القسام على البلدات الإسرائيلية؟ لماذا تقوم هذه الفصائل من حيث تدري بمنح الاحتلال المسوغات والمبررات لمواصلة عملياته العسكرية في غزة؟ إطلاق الصواريخ اثبت بصورة قاطعة انه غير مجد بالمرة، وأكثر من ذلك، هذه الصواريخ هي باعتقادنا أهداف ذاتية في المرمى الفلسطيني، لأنه بسببها خسرنا الرأي العام العالمي، ونحن بأمس الحاجة إليه، في ظل الصمت العربي والغربي.

على الفصائل الفلسطينية أن توقف فورا إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل، لان شعبنا الفلسطيني، كما ذكرنا في البداية، ليس من هواة القتل لمجرد القتل، وعلى الفصائل أن تقرر: هل تريد منح الذريعة لإسرائيل لإعادة احتلال غزة مرة أخرى؟

وقف إطلاق صواريخ القسام لا يعني بأية حالة من الأحوال أن النضال الفلسطيني ضد الاحتلال توقف، ولكن في ظل الظروف الفلسطينية والإقليمية والدولية على الفصائل أن تتحمل المسؤولية التاريخية وتتوقف عن إطلاق القسام لان ذلك لا يصب في مصلحة هذا الشعب الجبار. وباعتقادنا في هذه المرحلة الحساسة على الفلسطينيين حصر مقاومتهم ضد الاحتلال في الضفة الغربية المحتلة، لان الشرعية الدولية تكفلها.

سديروت ليست كريات شمونه، والفصائل الفلسطينية ليست منظمة حزب الله اللبنانية، وبالتالي فان من يريد نقل الموديل اللبناني إلى قطاع غزة يرتكب خطأ كبيرا، ويزيد من المآسي والويلات التي يعاني منها الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة.

* رئيس تحرير صحيفة «كل العرب» الصادرة في الناصرة

د. جمال المجايدة*

حماس.. وثورة الجياع!

■ اختلف قليلا مع الدكتور صلاح البردويل الناطق باسم كتلة «حماس» البرلمانية في المجلس التشريعي حول اتهامه الرئيس محمود عباس وشخصيات متنفذة في السلطة الفلسطينية وحركة فتح بالعمل على إفشال «حماس» من خلال حصارها وتجميد حركتها السياسية.

هذا الكلام للدكتور البردويل جاء يوم الأربعاء (6/14) على خلفية ما جرى من قيام موظفين باقتحام مقر المجلس التشريعي في رام الله بحجة المطالبة بصرف رواتبهم. ولا شك انه تعبير مباشر عن ازمة حركة حماس التي ينفيها البردويل وسامي ابو زهري باستمرار.

ليست مهمتي الدفاع عن ابو مازن، غير انني مثل اي كاتب مستقل، ارى ان تشخيص الازمة لا يكون باطلاق الاتهامات جزافا، فالبردويل لم يحالفه الصواب في التعبير الصادق عن الازمة واسبابها التي يعرفها هو اكثر من غيره، ولذلك فان اتهامه للرئيس محمود عباس بانه هو المسؤول المباشر عن عدم صرف الرواتب، وان الرئيس هو الذي يحاصر حماس، ليس صحيحا، لان اسرائيل هي التي تحاصر حماس مثلما تحاصر الشعب الفلسطيني، والمجتمع الدولي الذي يؤيد اسرائيل وآلة الا